وفي شجاعتها، وعجزت جماعة الراسخين في العلم والجاه عن مواجهتها.

والسن الصغير انطوى على عقل كبير.

والتودد انطوى على التحدي.

والأنوثة تعري الرجولة مثلما أنها تهزمها وتقمعها. وهذه غاية المفارقة، وأقصى أمدائها. وفيها قلب للسائد الثقافي والاجتماعي، حيث تدفع المرأة بنفسها إلى صدارة المقام الاجتماعي فتقف أمام الخليفة وفي مجلسه، ويتم إحضار أباطرة العصر من الراسخين في العلم، وهذا مقام يمثل ذروة الهرم الاجتماعي. وفي هذا المجلس وعلى هذه القمة تقف المرأة لتواجه ثقافة الرجل فتنتصر عليها وتفضحها وتعريها.

تخرج هذه الأنثى من اللامكان واللامقام واللاوجود واللاحسب، لتواجه الزمان كله بسلطانه ورجاله، وتنتهي بأن تكون الأعلم والأذكى، وهى الأصغر والأقل.

هذه مفارقة كان لا بد للمرأة أن تحدثها لتحقق للذات الأنثوية موقعا في عالم كله رجال وفي ثقافة كلها ذكور وتذكير.

وإن كانت الحكاية لم تحقق ثقافة نسائية ذاتية ولم تبتكر لغة أنثوية خاصة ـ كما سنوضح أكثر في الفقرة التالية ـ إلا أن المرأة هنا أحدثت مفارقتها الأولى حيث سرقت سلاح الرجل (ثقافته) لتحاربه بما هو من أدواته ومبتكراته فتنتصر عليه بسلاحه. وهذه مفارقة ثقافية تتحقق في حكاية تودد، وترمز إلى مطمح أنثوي نحو تحقيق وجود ذاتي يعتمد على (الذات) المفردة، بقدراتها الشخصية وليس بشفاعة الزوج أو الأب أو النسب أو وساطة المحرم، أو حصانة العائلة والعشيرة، أو مناعة الطائفة كما حدث لنساء الخوارج وبنات الاشراف ومعشوقات العرب.

لقد اختلفت (تودد) عن نماذج النساء اللواتي عرفتهن كتب الأدب مذ كانت تودد فتاة مقطوعة النسب مبتورة الجاه، ومذ كانت جارية